مدينة طرابلس القديمة بعد الحرب:
المشاريع القائمة لتأهيلها وترميم آثارها

المهندس الدكتور/ خالد عمر تدمري•

يكتسب الحفاظ المعماريّ موقعاً أساسيّاً للتواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل وديمومة إرث الحضارات، لأنه حصيلة تراكم تفاعل الإنسان والمكان عبر الزمان، سواءً كان هذا التفاعل علاقة رمزيّة تجريديّة تفرضها ملامح وخصائص المكان، أو ممارسات ونشاطات احتضنها الموضِع وكان مسرحاً لها فأصبحت جزءاً من شخصيته، أو سِمَة الحضارة العمرانيّة المضافة إليه خلال الأجيال. هذا التفاعل المتشعّب يضفي على الموضِع قوّة الدلالة التي تعكس حضارات الشعوب وتجعل التراث المعماريّ من المكوّنات الأساسيّة لهويّة المجتمعات. إنطلاقاً من هنا يستعصي استيعاب التراث المعماريّ خارج إدراك المجتمعات لإرثها الحضاري والتفاعل المستمر بينها وبين المكوّنات الطبيعيّة والحضاريّة المُركّبة للمكان، والتي من خلالها ينمو الشعور بالإنتماء.

لقد واكبت آثار لبنان المعمارية تاريخ الإنسان منذ أقدم العصور، إنها سجل لهذا التاريخ وشاهد له أو عليه، وهي لذلك ملك ثمين لنا وللإنسانية جمعاء، وإنعكاس لبيئة ومميّزات موقع هذا البلد. ويقع لبنان ضمن منطقة أثريّة تاريخيّة قلّ نظيرها في العالم، ونظراً لهذه الأهميّة فقد تمّ تسجيل عدد من مواقعه الأثرية والتاريخيّة على لائحة التراث العالمي لدى منظّمة الأونيسكو. وبسبب توزّع هذه المواقع في كافة أنحاء لبنان بمدنه وبلداته وقُراه وفي أماكن مأهولة وغير مأهولة، فقد تعرّضت هذه المواقع في الفترات الأخيرة من تاريخ البلاد، وبأكثر ما تعرّضت له عبر تاريخها الطويل، للدمار والتخريب والنهب. فبالأمس القريب كانت القنابل الإسرائيليّة تتساقط بين الحين والآخر على هذا الموقع أو ذاك، وتصيب من الآثار ما أصابته في غير منطقة لبنانيّة من جنوبه إلى شماله، كما عملت، سواءً في الشريط الحدودي أو في أي منطقة وطأتها أقدام جنودها، على اقتلاع هذه الآثار ونقلها إلى إسرائيل، وقد نفذت منها بأعجوبة آثار المتحف الوطني في بيروت الوحيد في البلاد. ومع استمرار الحرب، لم تتعرّض هذه المواقع الأثريّة للقنابل المدمّرة وحسب، بل أصبحت عرضة للإهمال وعبث العابثين. ولم تكن الآثار المنظورة وحدها هدفاً للدمار والتخريب، فهي على أهميّتها، لا تشكّل

• مهندس معماري، ماجستير في الترميم، دكتوراه في التخطيط والحفاظ المدني
أستاذ محاضر في معهد العمارة والفنون الجميلة بالجامعة اللبنانية
عضوّ مجلس بلديّة طرابلس – رئيس لجنة الآثار والتراث

إلاّ جزءاً بسيطاً من التراث الثقافي لهذا البلد والذي كان تدميره هو المستهدف...ومع زوال هموم الأحداث اللبنانيّة الأولى وبدايات إعادة الإعمار، أُثير موضوع التراث الثقافي بزخم على ساحة المثقفين والأكاديميّين في ندوات ودراسات عديدة، وأُخذ في بعض نواحيه المنحى المطلبي، وتكاثرت الجمعيات المعنيّة بالتراث والبيئة، كما أصبح موضع اهتمام مباشر من قِبَل جهات دوليّة. مما دفع إلى محاولات لتطوير التشريعات اللبنانيّة في هذا المجال، التي واكبت إطلاق مشاريع إعادة الإعمار، ويأتي في مقدّم مشاريع إعادة الإعمار في لبنان مشروع إحياء وسط بيروت التجاري. وبالرغم من أن الحيّ الجديد قيد الإنشاء في بيروت قد تفرّغ تلقائيّاً من فحواه المعماريّ التراثي – بغضّ النظر عن النماذج المتحفيّة لبعض المنشآت المحدّدة القديمة المرمّمة بأناقة خارج إطارها الإجتماعي والثقافي – فإنه يستقطب فضوليّة المواطنين كزائرين متأمّلين وسيّاح مذهولين في غربة المكان في قلب مدينتهم العريقة التي تحوّلت أسواقها التاريخيّة إلى مراكز لرجال الأعمال والشركات الفخمة.

بيد أن النماذج النادرة للبلدات والقرى التي تمّ إنماؤها بعد الحرب وإعادة تأهيلها بالتجانس مع مقوّماتها التراثيّة ومن ثمّ استثمارها سياحيّاً، كانت بمعظمها نتيجة وعي أهلها والجمعيّات الأهليّة والإدارة المحليّة في هذه البلدات، مما يُبرز أهميّة تفاعل المجموعات مع مقوّمات المكان في استنهاض إرثها التراثي ، وفي نفس الإطار، قامت بلديّة طرابلس ولجنة الآثار والتراث فيها بإطلاق خطّة للنهوض بالمدينة القديمة منذ ثلاثة أعوام، هدفت إلى صياغة الأهداف الإستراتيجيّة للتنمية ووضع سياسة للحفاظ على النسيج والتراث العمرانيّ فيها.

تأتي مدينة طرابلس القديمة في طليعة المدن التاريخيّة الغنيّة في لبنان، فهي المدينة المملوكيّة الثانية بعد القاهرة، والأغنى على الساحل الشرقيّ للبحر المتوسّط من حيث عدد معالمها الأثريّة، فضلاً عن تميّز أحيائها بتخطيط مميّز وفريد يرتكز على الأسس الدفاعيّة العسكرية، ولا يزال نسيجها المعماري متكاملاً وقائماً منذ أكثر من سبع مائة عام. وقد أصابت العوامل السلبيّة السالفة الذِكر النسيج العمراني في طرابلس القديمة بأضرار بليغة لم يُصَر حتى وقت قريب إلى وضع خطّة لتفاديها أو الحدّ منها. والجدير ذكره أن هذه المدينة الفريدة بتخطيطها وبتمازج عمارتها المملوكيّة والعثمانيّة، لم تَحْظَ منذ تأسيس الجمهوريّة اللبنانيّة بالرعاية أو الإهتمام ولم تجرِ فيها أية عمليّة ترميم، بل على العكس أتت كل المشاريع التي نُفّذت فيها لتُضرّ وتهدّم نسيجها العمراني. وليس مشروع تدمير محلّة السُوَيْقة المملوكيّة عام ١٩٥٨ الواقعة على ضفّتيّ مجرى النهر (على غرار مدينة البندقيّة) إثر فيضانه عام ١٩٥٥ وتدميره بعض الأبنية الأثرية، إلاّ أحد الأمثلة على هذه المشاريع الخاطئة، حيث شُطِرت المدينة التاريخيّة وتمّ فصلها عن النهر الذي كانت قد تطورت بالتفاعل العضوي معه، وخُرقت بالطرقات العريضة وبقناة باطونية للنهر مُبالغ في عرضها وارتفاعها حلّت مكان النسيج العمراني التراثي

المتكامل، هذا عدا عن فقدان المدينة لجزء هامٍ من تراثها الثقافي والإجتماعي الذي كان هذا الجزء الحيويّ من نسيجها يتميّز بها. أضِف إلى ذلك ما لحِق بهذه المدينة التاريخيّة ومعالمها الأثرية من دمار وخراب ونهب إبّان الحرب اللبنانية.

لذا، وضعت بلدية طرابلس منذ ثلاث سنوات خطّة للنهوض بالمدينة القديمة تشمل عدداً من الخطوات العمليّة السريعة المقسّمة حسب أولويّات التنفيذ، وعلى رأسها وضع مخطّط شامل لحماية وتنظيم المدينة القديمة، وللحفاظ على المنظر العام لها، وآخر للحفاظ على خصائص النسيج التقليدي الخاص بها، ومشاريع لإيجاد الحلول لمشكلة مرور العربات داخل النسيج العمراني القديم، وأخرى لترميم وإحياء المعالم الأثرية الأساسيّة واستثمارها سياحياً وثقافياً، فضلاً عن وضع خطوات عمليّة للتعريف بالمدينة القديمة على المستويين المحليّ والخارجيّ وتوعية السكان حول أهميتها.

وقد اعتمدت بلدية طرابلس لتحقيق خطّتها ومشاريعها على العلاقات الجيّدة والتعاون المثمر القائم بينها وبين مؤسسات دوليّة ورسميّة وبلديات صديقة في أنحاء العالم، وأيضاً على مشاركة ودعم بعض الفعاليات والمؤسّسات المجتمعيّة المحليّة. وقد نتج عن هذه الخطة الخمسية التي انطلقت منذ ثلاثة أعوام تحقيق وتنفيذ وإطلاق المشاريع التالية:

أولاً: مشروع إحياء الإرث الثقافي في مدينة طرابلس المموّل من البنك الدوليّ

يرعى البنك الدوليّ حالياً في لبنان تنفيذ مشروع "إحياء الإرث الثقافي"، الذي يهدف إلى ترميم وتأهيل المدن والمباني التاريخية في خمسة مدن قديمة بالتعاون مع بلديّاتها (طرابلس، صيدا، جبيل، بعلبك وصور)، وإلى خلق التوجهات المرجوّة للتجدد المديني وإعادة إنصهار هذه المواقع التراثيّة في قلب المدن في عملية للتجانس مع النمو المديني من جهة، وتفعيلها واستثمارها سياحياً من جهة ثانية.

ويهدف مشروع إحياء الإرث الثقافي لمدينة طرابلس المموّل من البنك الدوليّ بمبلغ قدره عشرون مليون دولار، تساهم بقسم منه وكالة التنمية الفرنسيّة، إلى وضع استراتيجية لحماية معالم طرابلس التاريخيّة والأبنية السكنيّة، وتشجيع النشاطات السياحية والثقافية لخلق مداخيل محليّة إضافية للسكّان، وتحسين محيط المدينة التاريخيّة. ويمكن تلخيص المشاريع المشتركة القائمة حالياً في إطار هذا المشروع بين البنك الدولي وبلديّة طرابلس على الشكل التالي:

مشروع إخلاء وترميم خان العسكر وإنشاء ثلاث وحدات سكنيّة لنقل شاغليه إليها

يقع خان العسكر الأثري على الضفّة الغربيّة لنهر أبو علي في محلّة الدبّاغة الواقعة شمالي غربيّ المدينة القديمة. ويتألف الخان من قسمين مستطيلتين متلاصقتين بينهما ممرّ مسقوف ويتوسط كل منهما فِناء مكشوف، ويعود كل قسم منها إلى الحقبات التاريخيّة: الصليبيّة والمملوكيّة والعثمانيّة. ويُعدّ الخان المعلم الأثريّ الوحيد الذي تملكه بلديّة طرابلس، كما يُعتبر أكبر خانات المدينة مساحةً على الإطلاق. يضمّ القسم

الأول والأكبر من الخان في طابقه الأرضي محلاّت تجارية، بعضها ينفتح إلى الخارج وبعضها الآخر إلى الفِناء الداخليّ. أما الطابق الثاني فيتألف من غرف صغيرة متلاصقة يصل بينها رواق مسقوف. وتشكّل كل غرفة من هذه الغرف مكان إقامة عائلة بكاملها مؤلفة من ٧ إلى ١٠ أفراد أو أكثر أحياناً، انتقلت إلى العيش هنا قسراً، وهي تعيش في وضع إجتماعيّ وصحيّ وبيئيّ كارثيّ. كما احتلّت الدكاكين الباطونية العشوائية فِناء الخان حيث أقيمت فيها الورش الميكانيكيّة المتعدّدة، أمّا القسم الثاني من الخان فتشغله الغرف السكنية في طابقيه الأرضي والعلوي.

وبعد إحصائيّة قامت بها بلديّة طرابلس داخل الخان، تبيّن أن عدد قاطنيه هم ٦٧ عائلة، بعضها لا يزال يقيم هنا منذ أن تهدّمت بيوتهم جرّاء طوفان النهر عام ١٩٥٥ ومشروع الهدم الذي لحقه، حيث تمّ نقلهم إلى الخان بصورة مؤقتة بإنتظار تأمين البديل الملائم والتعويض لهم من قِبل الدولة، وقد مضى خمسون عاماً وهم ينتظرون، والبعض الآخر هم من مهجّري الحرب الذين هُدمت بيوتهم في المناطق المجاورة للخان فلجؤا إلى الإقامة فيه، كما تمّ إحصاء ٣٤ محلاً تجاريّاً بداخله.

وقد تقرّر بمقتضى المشروع النهائي، أوّلاً إخلاء وترميم الخان بكامل أقسامه تمهيداً لتحويله إلى مركز سياحيّ وثقافيّ وإنمائيّ تستخدمه بلديّة طرابلس، وثانياً إقامة ثلاثة مباني سكنيّة من أربع طبقات، تتّسع لإقامة ٦٤ عائلة، وتضمّ مساحات مخصّصة لـ ٣٤ محلاً تجاريّاً في طابقها الأرضي. وقد تحمّل البنك الدولي في إطار مشروع إحياء الإرث الثقافي تمويل إعداد الدراسات الهندسية وإنشاء الأبنية الثلاث، كما قدّمت البلديّة الأرضين اللازمتين للمشروع، مساحة الأولى ٥٥٠٠م٢ والثانية ٢٤٠٠م٢. وقد جرى تنفيذ القسم الأول من المشروع ونقل السكّان إلى الأبنية الجديدة خلال صيف ٢٠٠٧، وانطلقت أعمال القسم الثاني القاضية بترميم الخان وتأهيله في شهر نيسان/إبريل ٢٠٠٨.

ب- مشروع ترميم وطلاء واجهات مباني محلّة ظهر المغر العشوائيّة

تعتبر محلّة ظهر المغر، المطلّة على الضفة الشرقيّة للنهر، نموذجاً للبناء العشوائيّ الذي يفتقر إلى التنظيم المدني في طرابلس، والذي امتدّ خلال فترة التسيّب القانونيّ وأُنشئ من دون الحصول على رخص للبناء. بدأ تنفيذ مشروع ترميم وطِلاء واجهات الأبنية السكنية العشوائيّة بمجملها الواقعة في منطقة ظهر المغر على التلّة المشرفة على نهر أبي علي والمقابلة لقلعة طرابلس في نيسان/إبريل ٢٠٠٧، وانتهى في شهر كانون الأول/ديسمبر من العام نفسه. وقد أخذت البلدية على عاتقها تمويل وإعداد الدراسة الهندسيّة، والقيام بأعمال تأهيل البنية التحتيّة، ومعالجة مشكلة الإنارة العامّة وتأهيل الأرصفة والسلالم العامّة، كما تكفّلت بتأهيل المدرستين التكميليتين والمستوصف والمسجد القائمين وسط هذه المحلّة وتأمين التمويل اللازم لذلك من قِبَلها. وقام البنك الدولي بالتعاون مع مجلس الإنماء والإعمار بتأمين كلفة تنفيذ أعمال طلاء

وترميم الواجهات الخارجية للأبنية والتي بلغت ٦٦٠,٠٠٠ دولاراً. وشمل العمل تأهيل ٣٠٣ مباني، بعض منها ذات قيمة معماريّة تراثيّة، إلاّ أن أكثرها مباني أقلّ من عاديّة تدخل في عداد الأبنية العشوائية. وبعد أن كان البنك الدولي ومجلس الإنماء والإعمار قد أقرّا ترميم الواجهات الأماميّة فقط لهذه الأبنية، أي المطلّة على النهر، أصرّت البلدية على أن يتمّ طلاء الواجهات الأربع بكاملها ليكون مظهر المنطقة من الداخل تماماً كما يبدو من الخارج، ممّا سيكون له الإنعكاس الإيجابي على سكّان هذه المنطقة من جهة، وعلى تحسين المظهر الخارجيّ لمحيط المدينة القديمة من جهة ثانية.

ج- مشاريع ترميم بعض المعالم والأسواق التاريخيّة

يشمل المشروع إحياء الإرث الثقافي في طرابلس ترميم عدد من المعالم الأثرية التي سينطلق العمل فيها خلال العامين القادمين، ومن أبرزها ترميم قلعة طرابلس وتجهيزها لإستقبال متحف للآثار، وقاعات للنشاطات والمعارض الثقافية المختلفة، كما سيجري ترميم حمّام النوري المملوكي وتحويله إلى متحف للكتب والمخطوطات التراثية، حيث عُرفت طرابلس عبر التاريخ بمدينة العلم والعلماء. وأيضاً يشمل المشروع ترميم واجهات الأبنية المطلّة على الأسواق التاريخيّة، وقد تمّ إنجاز ترميم واجهات هذه الأبنية في أسوق الملاّحة والبازركان (سوق القماش) والنحّاسين، ويجري حالياً ترميم سوق الكندرجيّة (السكّافين).

ثانياً: مشاريع ترميم المعالم العثمانيّة البارزة بالتعاون مع رئاسة الوزراء التركيّة

أ- تأهيل برج الساعة الحميديّة

تمّ تدشين برج ساعة التلّ بناءً لأمر السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٢م. قرب التلّة العليا التي كانت تقع خارج حدود مدينة طرابلس القديمة وحيث كانت تقع دار الحكومة العثمانيّة حينها. وجاء بناء الساعة بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على جلوس عبد الحميد على عرش الخلافة. تعرّض برج الساعة الحميدية إلى التشويه والخراب من جرّاء الحرب، فأصيبت كامل واجهاته بالرصاص والشظايا، كما تكسّرت أبوابه وشبابيكه الخشبيّة، وتصدّع السلّم الحديدي الحلزوني الذي يرتفع في وسطه، وتعطّلت ماكينة الساعة بداخله، وتعرّضت الكتابات التاريخيّة التي تزيّن واجهته إلى التشويه وبعضها إلى الإندثار. وبناءً لطلب لجنة الآثار والتراث في بلديّة طرابلس، تبنّت رئاسة الوزراء التركيّة إعادة نقش اللوحات التاريخيّة التي كانت تحمل إثنتان منها "الطُغراء" أي توقيع السلطان، والأخريتان "الآرمة" أي شِعار الدولة العثمانية وفوقها الطُغراء، ويحيط بها من الجهات الأربع شِعار الهلال والنجمة رمز العلم العثماني. كما شمل المشروع ترميم كامل واجهات البرج الخارجية والداخلية، وإصلاح أبوابه وشبابيكه، وإعادة تشغيل ماكينة الساعة، وإنارة البرج من الداخل والخارج بشكل فنّي.

ب- ترميم التكيّة المولويّة وتنظيم محيطها

في نيسان/إبريل ٢٠٠٧ أطلقت لجنة الآثار والتراث في بلديّة طرابلس مشروع ترميم التكيّة المولويّة العثمانيّة بالتعاون مع دائرة التعاون والتنمية "تيكا" التابعة لرئاسة الوزراء التركيّة، وإخلاء محيطها الممتدّ حتى سفح قلعة طرابلس من المساكن العشوائيّة، وتأمين بديل لهم بالتعاون مع مجلس الإنماء والإعمار وصندوق المهجّرين، وتحويل هذا المحيط إلى بقعة خضراء تزدان بالحدائق المنسّقة والشلاّلات المائية بالتعاون بين بلديتيّ طرابلس وكاتشي أوارن بأنقرة التوأمين. وجاء المشروع بالتزامن مع الإحتفالات الدوليّة التي أطلقتها تركيا بالتعاون مع منظّمة الأونيسكو بمناسبة ذكرى مروم ٨٠٠ عام على ولادة العلاّمة جلال الدين الروميّ مؤسّس الطريقة الصوفيّة المولويّة. وقد تمّ إعداد الدراسات الهندسية الكاملة للمشروع الذي سيبدأ تنفيذه مطلع شهر آب/أغسطس، وستتحوّل التكيّة معه إلى صرحٍ ثقافي تديره البلدية، يضمّ قاعة للعروض المولوية، ومتحفاً ومعارض دائمة، ومكتبة عامّة للفنون التركيّة، ومركزاً ثقافيّاً يضمّ قاعة للمعارض وأخرى للمحاضرات.

وبالتزامن مع مشروع ترميم التكيّة المولويّة، وقعت بلديّتا طرابلس وكاتشي أوران التركية بأنقرة إتفاقيّة ثنائية للتوأمة والتعاون بين المدينتين، وقرّرتا أن يكون باكورة تعاونهما هو إعداد وتمويل مشروع لتنظيم محيط التكيّة وصولاً إلى سفح القلعة حيث تنتشر العشوائيّات اليوم، عن طريق إستحداث حدائق متدرّجة منسّقة، وشلاّلات مائيّة متدفقة من أعلى التلّة باتجاه النهر، على غرار شلالات مشابهة قامت بتنفيذها بلدية كاتشي أوران بصورة جميلة في أنقرة، وإقامة مسرح مكشوف تحت سفح القلعة، وتحويل الطريق الغربية المحاذية لمجرى النهر إلى منتزه عامّ تنتشر فيه الحدائق والمقاهي والمطاعم السياحيّة.

ثالثاً: ترميم خان الخيّاطين بالتعاون مع وكالة التعاون الدولي الإسباني

يُعدّ خان الخيّاطين من أقدم وأجمل أسواق مدينة طرابلس على الإطلاق، حيث اشتهرت المدينة عبر العصور بصناعة وتصدير الحرير خاصّة في العصر الصليبيّ. وقد تعرّض كباقي المباني الأثرية في المدينة للدمار من جرّاء الحرب. تبنّت وكالة التعاون الدولي الإسباني تمويل ترميم الخان وإعادته إلى شكله المعماري الأساسي بإشراف بلدية طرابلس، وذلك بكلفة تجاوزت خمسمائة ألف دولار، وقد شارفت أعمال الترميم على الإنتهاء.

رابعاً: ترميم حمّام عز الدين بالتعاون مع بنك التنمية الكويتيّ

أُنشئ حمّام الأمير عز الدين أَيْبَك المَوْصِلِيّ في عصر المماليك على أنقاض كنيسة صليبيّة، ويُعدّ من أكبر حمّامات المدينة مساحةً، وقد أدّت الحروب إلى سقوط عدد من قِبابه وإحداث تشققات في جدرانه. بناءً لطلب بلدية طرابلس قامت مديريّة الآثار عام ٢٠٠٥ باستملاك العقار (حيث كان الحمّام ملكاً خاصّاً) وجرى العام الماضي إطلاق

مشروع ترميمه بتمويلٍ من بنك التنمية الكويتي. ويتوقع إنهاء الأعمال مطلع العام القادم، ولم يتم بعد تقرير الوظيفة الجديدة الممكن إعطاؤها له لإستفادة منه سياحيّاً.

خامساً: ترميم سوق حراج بالتعاون مع الحكومة الألمانيّة

سوق حراج يُعدّ أقدم أسواق طرابلس وهو الوحيد المغطّى فيها، حيث ترتكز عقود سقفه وأروقته على أعمدة غرانيتيّة تعود للعصر الفينيقي، وقد جُلِبت من مصر أثناء حركة التجارة بالمقايضة بخشب الأرز التي كانت ناشطة بين الفينيقيّين والفراعنة قبل ٣٥٠٠ عام. لم يشهد السوق أية عملية ترميم خلال القرن الماضي، إلى أن تبنّت الحكومة الألمانيّة ترميمه على نفقتها بناءً لدراسة وضعتها بلديّة طرابلس، وذلك بكلفة بلغت ثلاثمائة ألف أورو. وقد تمّ إنجاز المشروع خلال العام ٢٠٠٦، حيث تمّ تحويل قسم منه إلى مطعم سياحي يستقبل الزوار في قلب المدينة القديمة.

سادساً: ترميم الجامع المنصوري الكبير بالتعاون مع مؤسّسة الحريري

يُعدّ الجامع المنصوري الكبير أقدم مساجد طرابلس، وأكبر مساجد لبنان مساحةً، وقد بُني سنة ١٢٩٤م. بعد تحرير طرابلس من الإفرنج الصليبيين وسمّي بالمنصوريّ تيمّناً بالسلطان المنصور قلاوون. بعد الحرب جرت عدّة محاولات لترميم الجامع، لكنها لم تكن بالمستوى العلمي المطلوب كما لم تكن مشاريع متكاملة. وفي عام ٢٠٠٥ وضع المهندس المصري الشهير د. صالح لمعي دراسة مفصّلة لترميم الجامع المنصوريّ، وتبنّت مؤسّسة الحريري في لبنان تنفيذها، حيث قُدّرت تكاليف الترميم بملونيّ دولار. وقد انطلقت أعمال الترميم مطلع عام ٢٠٠٧ وتمّ حتى تاريخه إنجاز خمسون بالمئة من المشروع حيث افتُتح الحرم الداخلي للجامع منذ نحو شهر.

سابعاً: ترميم المساجد والمدارس القديمة بالتعاون مع مديرية الأوقاف الإسلاميّة

أطلقت لجنة الآثار والتراث في البلدية ومديرية الأوقاف الإسلاميّة بطرابلس العام الماضي خطّة متكاملة لترميم وتأهيل عدد من المعالم الإسلاميّة التاريخيّة التي تزخر بها المدينة، وقد جرى وضع الدراسات اللازمة لعرض هذه المشاريع والحصول على تمويل لها من الجهات المانحة. وقد أثمرت هذه الخطوات حتى الآن إلى ترميم كل من جامع أرغون شاه، والجامع الحميديّ، ومسجد الحجيجيّة، والمدرسة الخاتونيّة، والمدرسة السقرقيّة، ومدرسة الدايم الله، والمدرسة الطواشيّة، والمدرسة الرجبيّة، وذلك بتمويل وتبرّع كريم من بعض الجمعيّات والشخصيّات الطرابلسيّة.

ثامناً: ترميم واجهات الأبنية التراثية بالتعاون مع مؤسّسات المجتمع المدني المحليّة

في نيسان ٢٠٠٥ أطلقت لجنتنا الآثار والتراث وإنماء السياحة في بلديّة طرابلس مشروع تأهيل واجهات الأبنية التراثية التي تنتشر وسط مدينة طرابلس وشوارعها، والتي نشأت وتوسّعت مطلع القرن العشرين خلال فترتيّ أواخر العهد العثماني والإحتلال الفرنسي. وتعكس هذه الأبنية السكنيّة – التجاريّة في معظمها تمازج العمارة العربيّة الإسلاميّة والأوروبيّة الفرنسيّة، وتختلف طرزها وهندستها بين مبنىً وآخر.

وقد جرى تأهيل المباني التراثيّة في شارع عزمي بك بتمويل مقدّم من عدد من الشخصيّات السياسيّة والإقتصاديّة في المدينة، وتأهيل الأبنية في شارع رياض الصلح بتمويل من مؤسّسة الوليد بن طلال الإنسانيّة في لبنان، والأبنيّة في ساحة التلّ ومحيط قهوة موسى التاريخيّة بتمويل من جمعية العزم والسعادة (جمعية محليّة)، كما تمّ ترميم الأبنية المطلّة على ساحة الكورة بتمويل من بنك فرنسبنك في لبنان، ولا تزال عدد من المشاريع المماثلة في أماكن أخرى من المدينة قيد التنفيذ.

الخلاصة: تفاعل المجمتع المدني المحلّي لاستنهاض إرثه الثقافي

لم يكن من الممكن تنفيذ جميع المشاريع التي تمّ تعدادها من دون تحقيق التعاون المثمر والبنّاء بين السلطة المحليّة، الممثّلة ببلدية طرابلس صاحبة المبادرة، والمؤسّسات الحكوميّة (رئاسة الوزراء، مجلس الإنماء والإعمار، وزارة الثقافة، مديريّة الأوقاف..) التي ساهمت في تأمين بعض الدعم من الدول الصديقة، وأيضاً من دون مشاركة مؤسّسات المجتمع المدني المحليّة، المؤمنة جميعها بضرورة نفض غُبار الحرب عن وجه المدينة وإعادته إلى سابق تألقه، والعمل على تحريك عجلة الإقتصاد والتجارة والسياحة والثقافة فيها من جديد لإعادة المدينة إلى الخارطة السياحيّة، والمساهمة في رفع دخل سكّانها وتعزيز علاقتهم بها وتمسكّهم بتراثها وافتخارهم بتاريخها.
إن إعادة الحياة إلى المواقع العمرانيّة التراثيّة تخلق تلقائيّاً ديناميكيّة السياحة الثقافيّة، التي تحتاج لها وتتميّز بتوفر كامل عناصرها مدينة طرابلس العربية الإسلاميّة العريقة، والتي تستقطب إجمالاً المجموعات الإجتماعيّة المتوسّطة، وتختلف جذريّاً عن السياحة الترفيهيّة المروّجة من قِبل بعض الإدارة المحليّة في لبنان، والموجّهة أساساً إلى الشرائح الثريّة من بلدان الخليج العربيّ، والتي هي منطوية على أماكن محدّدة في البلاد وتجلّياتها معاكسة تماماً للمعطى العمراني التراثي.

المصادر والمراجع:

-أرشيف مصلحة الهندسة في بلديّة طرابلس

-تدمري، خالد؛ تخطيط مدينة طرابلس القديمة ونماذج من عمارتها السكنيّة؛ رسالة ماجستير (باللغة التركيّة)، جامعة المعمار سنان، كليّة العمارة – قسم الترميم، استانبول، ٢٠٠٠

-تدمري، خالد؛ مشاكل المحافظة على مدينة طرابلس القديمة وطروحات لإعادة تخطيط حمايتها وإحيائها؛ رسالة دكتوراه (باللغة التركيّة)، جامعة المعمار سنان، كليّة العمارة – قسم التخطيط المدني، استانبول، ٢٠٠٣

-تدمري، عمر؛ محلات طرابلس القديمة: مواقعها، أسماؤها وسكّانها من خلال الوثائق العثمانيّة؛ بحث منشور في كتاب: المؤتمر الأول لتاريخ ولاية طرابلس إبّان الحقبة العثمانية ١٥١٦-١٩١٨؛ الجامعة اللبنانيّة، طرابلس، ١٩٩٥

-الصندوق المركزي للمهجّرين؛ الكتيّب الخاص بمشروع إعادة إعمار محلّتيّ باب التبّانة والقبّة، ١٩٩٨

-كيّال، مها، وعطيّة، عاطف؛ طرابلس من الداخل، دار مختارات، بيروت، ٢٠٠٦

-لجنة الآثار والتراث في بلديّة طرابلس؛ الكتيّب الخاص عن التكية المولويّة: تاريخها وقصّة ترميمها، ٢٠٠٧

-اللجنة الوطنيّة اللبانية للتربية والعلم والثقافة – الأونيسكو، حماية الآثار في لبنان، كتاب وقائع الحلقة الدراسيّة، بيروت، ١٩٩٢

-مجلس الإنماء والإعمار؛ التقرير التمهيدي لمشروع إحياء الإرث الثقافي في طرابلس، ٢٠٠٤

-موقع مدينة طرابلس على الإنترنيت www.tripoli-city.org